# لغز في المكتب الإنجليزي العتيق

نظر إليَّ رئيسي محدقًا.. أطال النظر كعادته حينما يستثير مَن أمامه ليشعره بأهمية الموضوع الذي سيبدأ نقاشه..

أنا في هذه اللحظات جفَّ ريقي واقفًا، وجفَّتْ معه كل السوائل في جسدي الطويل.. شعرت أن الإمدادات قد تقطعت تمامًا.

مرت خمس دقائق وهو يحدّق فيَّ وفي الأوراق أمامه.. ثم قرّرَ أخيرًا أن يطلق النار، أقصد يبدأ نقاشه.. سكون يعم حجرة مكتبه الذي يشق هدوءه فرقعة ركبتيّ حينما نهض ليستدير حول مكتبه، وحولي بالطبع.

وقف أبو عبدالله خلفي، فلا أسمع إلا أنفاسه الغاضبة، خمسة وعشرين ثانية عددتُ أنفاسه فيها عدًا، ثم باغتني بظهوره عن يساري وبصوته الضخم، الفخم، قال: "مُنير!!"

فقلت متقبلاً قدري بكل رضا: "سَمْ طال عمرك".

قال بلفظ حازم متسارع:

"منير.. الطموح وحده لا يكفي!! عدم التطوير لا يعني البقاء كما أنت، بل يعني أنك ثوبٌ خَلِق".

ثم وقف أمام النافذة البراقة حيث كانت تعكس صورته وهو يرتب شماغه.

أما أنا فلقد سخرت من نفسي، أبعد كل هذا الطول والعضلات المفتولة يشبهني بالثوب ، والخلق أيضًا.. "ياخيبة أمك فيك يا منير"، قلتها بلا شعور، ولكنه وكالعادة سمعها.. فقال:

"إنني أشفق عليها فعلًا".

فتعجبت!! "من هي طال عمرك؟"

قال: "أمك.. ألم تذكرها الآن؟"

هنا تأكدت من خيبتها فعلًا..

وأنا أسبح في بحر أحزاني انطلق أبو عبدالله والتقط ورقة من مكتبه ومدّها إليَّ قائلًا:

"بما أنك لا تملك الجرأة لاتخاذ القرار وفعل ذلك فقد اتخذته أنا، هذا خطاب اعتمادك في الدورة التي تهربت منها كثيرًا، هذه المرة ستعقد في الرياض لمدة تسعة أشهر، وستبدأ بعد غد، انصرف إلى مكتبك الآن، أغلق كل الملفات والمعاملات المفتوحة وتوجه إلى هناك".

كانت كلماته كالقذائف المصوبة تجاهي لا أدري أين أهرب منها!

خرجت من عنده، أنجزت ما أراد، لقد مرَّ اليوم ثقيلًا وسريعًا في الوقت نفسه. أنهيت كل شيء، وقضيت ما تبقى من تلك الليلة مع أمي التي أعدت لي عشاء فخمًا بمناسبة رحيلي، لقد أعدت (مرقوقة) وجبتي المفضلة في الشتاء.

في الصباح الباكر ودعت أمي وودعت قلبي معها متجهًا إلى الرياض، وفورًا توجهت لمبنى انعقاد الدورة، ثم بدأت أبحث عن سكن قريب لأتجنب زحام الرياض المزعج، تجولت في الأحياء حوله، ومكاتب العقار، لكن طلبي الخاص لم يتوفر إلا قبيل صلاة العصر.. حسنًا، كانت شقةً ويالها من شقة! صالة كبيرة في طرفها شيء يسمى مطبخ وبجانبها غرفة نوم، لا بأس، هذا يفي بالغرض.

الشقة كانت مفروشة، ولكنني قررت أن أتغير فعلًا، لأثبت لأبي عبدالله أنني أحقق طموحي حقيقة وليس وهمًا. فقررت أن أشتري مكتبًا، ثم جال بي الخيال مستعرضًا المكاتب الإنجليزية العريقة، ذات اللون البني الغامق، يااااه ما أجمله.. أتُراني أستحقه فعلًا؟ ولم لا!

وعلى الفور اتجهت إلى (حراج ابن قاسم) وأخذت أتجول فيه.. حتى وجدته، يا إلهي.. إنه مكتب إنجليزي عريق، هنا أحسست أن الدنيا ابتسمت لي أخيرًا، أول مرة أتمنى شيئًا ويتحقق هكذا بلا عناء ولا مقدمات. الْتفتُّ أبحث عن البائع، يااااه هذا اليمني مشغول مع زبائن آخرين يبدو لي أنهم سيقضون على كل ما لديه:

_ أيـــه أبو يمن، سلام..

_ وعليكم السلام.

_ بكم المكتب؟

_ بسبعمية وخمسين خذه بخمسمية نشب في حلقي.

فابتسمت ابتسامة المنتصر، "وما نشب إلا لينتظر قدومي السعيد". دفعت له المال وأعطيته العنوان، سيصل بعد ساعة.

قفلت راجعًا منهكًا إلى شقتي ، ولكني توجهت قبلها إلى مطعم مندي أسد به جوعي، فهي الوجبة الأولى لي اليوم.. ولا أعلم لم حملتها معي للشقة ولم أتناولها في المطعم كالعادة عندما أكون وحيدًا.. لعله الإعياء قد شلَّ تفكيري.

حينما أطفأت محرك سيارتي عند شقتي وهممت بالنزول، قابلت رجلًا سمينًا يحدق بي كثيرًا، لم يرق لي ذلك فقد ذكرني بنظرات أبي عبدالله بالأمس!

_ من أنت؟

_ جار جديد.

_ إيـــه حياك الله....

نظراته أزعجتني.. كان يريد أن يقول شيئًا ولكني هربت.

وعند باب الشقة اتصل بي الباكستاني محضراً لي مكتبي العريق، مرحى؛ كم أنا سعيد.

حملناه معًا ووضعته في زاوية الصالة المقابلة للنافذة لكي يبدو أكثر هيبة، وجلست بجواره أتناول المندي، وأحلام الهنا والمستقبل المشرق يرسمان بسمتيهما على وجهي المنهك.

"وأخيرًا يا منير ابتسمت لك الدنيا وأنارت لك الحياة؛ خلاص... يا فرحة أمك فيك يا منير".

الآن حان وقت النوم، وحينما وقفت متوجهًا إلى السرير؛ كأنَّ شيئًا جذبني من الخلف جذبًا..

يا أخي ألقِ نظرة على مكتبك العتيق، تفحصه، تخيل أنك...

فتوجهت فوراً وجلست على كرسي ضحم من الجلد الأسود اللامع، لأتخيل نفسي وأنا أجلس مكان أبي عبدالله بعدما أُتمُّ دورتي بتميز وأترقّى لأكون شخصًا تفخر به أم منير -بالطبع لم أحاول أن أنظر بنفس نظراته المرعبة حينما يغضب-.

تلمّستُ بيدي سطح المكتب اللامع، وحوافّه المنقوشة بإتقان، ومقابضه المزوقة باللون الأسود الذي يجعلك تشعر أنه مكتب من القرن السابع عشر.

"يا الله كم أنت محظوظ يا منير".

في المكتب دِرْجان فقط، أحدهما مختبئ تحت الزاوية اليمنى، لقد شدني في الحقيقة أكثر من ذاك المتاح؛ ولا ريب فكل مخبأ مرغوب، حاولت فتحه ولكنه مقفل، بحثت عن المفتاح.. بلا جدوى، اتصلت بالباكستاني:

_ رفيق.. وين مفتاح؟

_ هازا تحت درج إنتا حصل!!

صدمني حقيقة لماذا كل هذا؟!

مددت يدي تحته ووجدته ملصق بعناية، سحبته، وكان مفتاحًا عتيقًا جدًا، ما أكّدَ لي أنه من القرن السابع عشر فعلًا.

زال الشك مني والريب.. ابتسمت.. "لا تكبّر السالفة يا منير لازم يهتمون به".

تخيلت نفسي بملابس النبلاء في ذلك الزمن الغابر وهم يفتحون خزائنهم الثمينة المليئة بالجواهر والحُلل، أووه شعور جميل يخالجني، أدخلت المفتاح.. أدرته بعكس عقارب الساعة، وفتحت الدرج!!

يا إلهي.. شيء غريب، ليس صندوقًا ولا ورقًا..

تلبسني الخوف، اقشعر جسدي، نهضت وابتعدت.. تسارعت أنفاسي.. ما هذا؟

قرأت آية الكرسي ثلاث مرات، لا أعلم لماذا.. ربما لأنني كنت أريد أن أطمئن..

أو لعله الإرهاق والتعب جعلني أعيش هذه الحالة. ثم لمّا هدأت نفسي اقتربت من المكتب أريد أن أعرف ما هذا؟

"منير.. وش لك بالمشاكل؟" شخص ما يكلمني.. أوه إنه أنا.. لم أعد أميز من الخوف والهلع.

ولكني وافقت هذا الصوت في رأيه؛ أغلقت الدرج محتويًا آلامي ورُعبي بين جنبيَّ، ولا أدري لماذا رأيت شبح أبي عبدالله واقفًا بنفس نظراته أمس؟!

مشيتُ إلى الوراء حتى اصطدم ظهري بشيء خلفي فطار قلبي فرقًا، استدرت لأنظر.. إنها المرآة، رأيت نفسي، لا أدري لماذا ضحكت من هيئتي وأنا مفجوع!! فعلًا كانت هيئتي مضحكة بشكل يبعث على الشفقة!

انتابتني نوبة ضحك هيستيرية، ليس لدي قدرة للسيطرة عليها، فاستسلمت وأطلقت لضحكاتي العنان.

بعدها هدأت نفسي.. وقررت أن أواجه مصيري المحتوم فلا داعي لإرجاءه للغد!

ثم خطرت ببالي فكرة إعادة المكتب سليمًا معافى إلى بائعه، فتذكرت ذاك اليمني النحيل.. "يا أخي ترى المكتب ما عليه ضمان!" وكيف استمعت لكلامه بلا مبالاة؛ إنه إعجابي بالمكتب حجب عني كل شيء يمُتُّ للعقل بصلة، ثم رأيت الباكستاني بشاربه الكثيف متصلبًا: "سوف هازا مكتب مافي رجع، خلاص أنا جيب مافي شيل".

استطيع القول أنه انكشف لي الغطاء الآن، ولكن بعد فوات الأوان.

حسنًا.. واجه مصيرك يا منير، استجمعت كل ما ورثته عن أبي وأجدادي من شجاعة، وعدت كالطود شامخًا إلى الدرج وفتحته بكل ما أوتيت من قوة؛ وحملت هذا الشيء الغريب، يا للهول.. إنه كتاب من خشب!!

حتى أوراقه من خشب! كل صفحة عليها كلمات قليلة..

غادرني الشعور بالتعب، وجاء وقت الجد، سحبت الكرسي، جلست عليه أسحب أنفاسي سحبًا، ووضعت الكتاب على سطح المكتب الإنجليزي العريق وبدأتُ أقرأ!!

الغلاف خشن كأنه لحاء شجرة عريقة من مئات السنين، فتحته؛ الصفحة الأولى مكتوب عليها:

( هل أنت متأكد من أنك تريد أن تقرأ؟) استجمعت قواي، "وش رايك يعني؟"

قلبت الصفحة الأولى وإذا بعبارة:

(ما أشجعك!!) قلبتها فورًا لأطرد الخوف، فوجدت عبارة:

(ما أقوى قلبك)،

هنا خارت قواي، وأغلقت الكتاب، لا أريد شيئًا؛ أريد أمي، سأهرب معها إلى بيتها في البر..

_ أفا ياذا العلم.. تخاف؟!

رفعت رأسي الثقيل، إنه صوت أمي، لازال عالقًا في ذهني مما تبقى من ذاكرة الطفولة، دائمًا ما يأتيني في الأوقات الصعبة.

قررت أن لا تخجل أمي بسببي، فعدت إلى الكتاب ومررت سريعًا إلى الصفحة الرابعة، بدت الصفحة كأنها باب! فتحته؛ وإذ مكتوب تحته:

(ماوراء هذا الباب ليس لك.. ولا أنصحك بقراءته، إلا إذا كنت سعيد عمران، أو تستطيع مساعدة ياسر حمد وتنقذه من الخطر القادم إليه)؟؟؟؟

"يا ليل ما أطولك من عمران وياسر!! وش دخلني فيهم؟"

لكن الفضول دفعني.. ثم إن هناك شخصًا بحاجة إلى إنقاذ..

فسمعتُ صوت أبي عبدالله يقول: "خُف علينا يا عنترة!"

ولكنني قررت أن أُثبت وجودي أمام أبي عبدالله وكل الزملاء في القسم؛ فرفعت الصفحة تحت الباب وإذا مكتوب:

(المس الحجر الأزرق، وسترى ياسر وهو يقتل، سينطق بكلمة السر التي ستوصلها إلى سعيد عمران لينقذه)!!!

هنا صرخت من الخوف صرخة اهتزت لها أبراج الرياض، أحسست أني أطلق من حنجرتي صوتًا أشبه بصفارات الإنذار، لا ليس من حنجرتي بل من جوفي، وقفت مذعورًا، والحجر الأزرق يومض معلناً إزالة القفل وبانتظار أن ألمسه ليفتح، وأنا أُخبئُ إصبعي خلف ظهري، وأجري فاتحًا باب الشقة تاركًا كل شيء ورائي، صارخًا وعيناي الكبيرتان قد بلغتا أقصى اتساع لهما، وكذلك فمي الذي يصدر أصواتًا غير مفهومة لا لي ولا لغيري.

وفي الممر شاهدتُ الباكستاني ضاحكًا: "إنتا ايس في؟"

واليمني يقول: "ما هو وقته والله".

وأنا أجري وأجعل كل الناس خلفي، ولا ألتفت، شيء ما يطاردني يحاول أن يمسك بي!

وإذا بصوت أبي عبدالله: "جودوا الخبل.. جودوه وجيبوه".

وبالفعل أمسكوني واقتادوني إليه فصرخ في وجهي: "خير إن شاء الله؟"

انتصبتُ واقفًا، بلعتُ لساني وكل أصواتي معه، وأغلقت فمي. التفت يمينًا ويسارًا لأفهم ما الذي يجري؟

وضع أبو عبدالله يده الحانية على كتفي قائلًا: " بسم الله عليك تونس شيء يا ولدي؟"

في هذه الأثناء جاء ناصر لاهثًا، لقد كان يجري خلفي من مكتبنا في نهاية القسم، وأمسك بي: "اذكر الله، تعوذ من إبليس، وانفث يسارك يا رجال، والله إنه حلم".

عيناي تتسعان وتتسعان حتى لكأنما ستغطيان وجهي كله، فضحك أبو عبدالله الوقور ضحكة جلجلت لها جدران القسم، وضحك الجميع. أما أنا فقلت: "تكفى يا أبو عبدالله انقلني لقسم ما يعرفني فيه أحد".

تمت

---

(١) سم: كلمة خليجية بمعنى نعم تقال لمن تحترمه.

(٢) ثوب خلق: ثوب قديم بالي.

(٣) شماغه: الشماغ غطاء الرأس للرجال عند الخليجيين لونه أحمر.

(٤) المرقوقة: وجبة خليجية من البر واللحم.

(٥) حراج ابن قاسم: سوق كبير في الرياض.

(٦) نشب في حلقي: كناية يقصد بها لا أستطيع التخلص منه.

(٧) مندي: أكلة من الرز واللحم أو الدجاج.

(٨) خف علينا: لا تبالغ.

(٩) تونس شيء: هل تشعر بسوء؟